الإحالة النصية وأشكالها في تفسير الطاهر بن عاشور
نماذج تطبيقية لبعض الآيات القرآنية

Textual Reference and its Froms in The Interpretation of Al-taher ben ashour Application Models For some Quranic verses.

اليزيد هجيرة[1]

جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم (الجزائر) hadjiralyazid@gmail.com

د. حسين بن عائشة

جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم (الجزائر) mostawayete@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2020 /09/18 تاريخ القبول: 2021/03/26 تاريخ النشر: 2021/06/01

الملخص:

تحظى الإحالة بمنزلة مهمة في الدراسات اللسانية النّصية ،باعتبارها أحد الأدوات المهمة في الاتساق النصي، وينسحب دورها إلى تشكيل نصية النّص ،و ترابطه و تماسكه ،ولأنّ العرب عرفوا إرهاصات للإحالة جاءت متناثرة في إنتاجهم نحوا و بلاغة ،وتفسيرا ،لذلك فهذه الدراسة تهدف إلى البحث ،في أشكال وصور ،و أبعاد الإحالة في مختارات الطاهر بن عاشور "التحرير و التنوير " نموذجا.

الكلمات المفتاحية:الاتساق النصي –الإحالة –الضمائر –أسماء الإشارة –التكرار–أدوات المقارنة .

Abstract:

for Actually,a true linguistic reference is given in textual linguistic studies as one of the important tools in textual coherence .However.Its major role enhance the textual text's formation, and also its cohesion. Infact, the Arabs reasons behind knowing the anaphora indication, which where scattered in their production of grammar, rhetoric, and interpretation.

So.this study aims to investigate and seek the essential reference shapes and it's dimensions of the anaphora In AL-taher ben Achour's selectio

Keywords :textual consistency-reference-pronouns-repetition.

1- مقدمة

ينفرد الخطاب القرآني ،عن غيره من الخطابات الأخرى بإعجازه اللغوي، و البياني ،و التركيبي ، حيث دأبت التفسيرات القرآنية على اختلافاتها تقدم ألوانا من الشرح يكشفون سرّ إعجازه و نظمه ، حيث ابتعدوا عن تلك النظرة الجزئية ،التي شملت أبحاثهم و دراساتهم ،إلى نظرة كلية شمولية ، هي النظرة التي وافقت الدراسات اللّسانية النّصية ، اهتمت بانسجام النص ،و اتساقه وترابطه مع كيفية بناء النصوص و تأويلها و البحث عن نصية النّص، و لما كانت الإحالة أهم خاصية تنبثق عن القاعدة النّصية خاصة في اتساقه ،و تحديد دلالاته بل إنّها تسهم في تشكيله .جاء التّصور لهذه الورقة البحثية ينطوي على دراسة أشكال الإحالة وتتّبع أبعادها في بعض

[1] المؤلف المرسل

النماذج من تفسير الطاهر بن عاشور ،نظرا لما يحتويه من تخريجات لغوية، يمكن أن نقيم ضمنها تصورا حول الإحالة في القرآن الكريم ،خاصة وأنها تلتقي من الجانب اللّغوي ،والبلاغي مع ما أفرزته الدراسات النّصية ،ارتأينا أن تكون محور دراستنا وتم تحديد العنوان ب(الإحالة النصية و أشكالها في تفسير الطاهر بن عاشور)و لقد حاولنا الإجابة عن مجموعة من الأسئلة تمثلت في ما يلي: ما هي إرهاصات الإحالة في الموروث العربي ؟ما طبيعة الإحالة في كتاب التحرير و التنوير ؟وما هي أبعادها ؟تهدف هذه الدراسة إلى استنطاق ما ورد في تفسير " ابن عاشور" من شروحات وكيف تعامل مع الإحالة من منظور الجانب اللغوي ،وما أعقبه من توضيحات تخص الضمائر و أسماء الإشارة و التكرار و أدوات المقارنة ،و مرجع الضمير الذي يزيل اللّبس و يوضح المحيل ،وهي كلّها إشارات تمكننا من فهم أجزاء النّص عبر عملية الربط التّي تقوم بها الإحالة النصية الداخلية مما يجعل النص متماسكا و تحقيقا لذلك اتبعت الدراسة المنهج الوصفي الذي يستند على الاستقراء والتحليل .

2-الاتساق النّصي

يعد الاتساق حجر الأساس في علم لسانيات النص واختلفت المدارس الغربية و العربية في تعريفه ، فقد ورد معنى الاتساق ،في المعاجم العربية كالتالي :"استوسقت الإبل :اجتمعت و وسق الإبل ،طردها وجمعها ...ووسق اللّيل واتسق ،وكل ما انضم ،فقد اتسق والطريق يأتسق ويتسق أي ينضم ...واتسق القمر :استوى والوسق :ضم الشيء إلى الشيء ...وقيل كل جمع فقد وسق والاتساق الانتظام"[1] .أما الاتساق اصطلاحا ،فيعرفه "محمد الخطابي ""ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/خطاب ،يهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية)التي تصل بين العناصر المكونة ،لجزء من خطاب ،أو خطاب برمته[2]"فهو –على حسبه-"يتشكل عبر وسائل ،و روابط تصل بأجزاء النّص أو الخطاب ،أما عند" هاليداي ورقية حسن "فهو مفهوم دلالي يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص والتي تحدده كنص "[3] .من خلال هذه التعريفات ،يشترك مفهوم الترابط مع الاتساق لأنه الوسيلة ،التي يتحقق بها "يتحقق الاتساق على هذا المستوى يتطلب القدرة على النظر الشامل ويستلزم الدقة في تلمس العلاقات المتشابكة ويحتاج إلى بصر بأساليب تشكيل الظواهر المشتركة ".[4]

فمن جملة شروط الاتساق النحوي ،الذي يتخذ شكل علاقات، بين تعبيرات معينة ،في جمل متتابعة ،وهي ذات طبيعة تركيبية ،دلالية ،من الناحية الدلالية علينا أن نفرق، بين مؤشرات نصية داخلية ،ولغوية خارجية .

أ-نصية داخلية :تعني أنّ العلاقة بين التعبير المرجع (العائد إليه)،و التعبير المستأنف تنشأ في النص ذاته ،ولا ينصّ عليها بهذا الشّكل في النظام اللّغوي .

ب-لغوية داخلية :تتشكل عبر العلاقة بين التعبير المرجع (العائد إليه)،و التعبير المستأنف .

ج-لغوية خارجية : تتجاوز النظام اللغوي الداخلي ،وتؤسس على خبرات ،و معارف لإقامة تواصل أي؛ من الدلالي إلى التداولي الذي ،يعنى بالمتكلم و المستمع .[5]و هنا يكون الانتقال الحركي من الاتساق إلى الانسجام فلا وجود لطرف دون الآخر حتى يتشكل لنا متماسكا .

أما في الدراسات النصية الحديثة ، فإنّه يأخذ مصطلحا غير الاتساق" فصبحي إبراهيم "يعرّفه :بالتماسك [6]،و عند تمام حسان بالتضام [7]، و السبك عند كل من "سعد مصلوح "،و "جميل عبد المجيد"[8] .و بالتّالي هو أحد المعايير النصية عند "دي بوجراند "حتى يطلق على النّص نصا والتيّ لا غنى عنها لتوافر صفة النصية في تشكيلة لغوية ما[9].فمعيار التضام أو السبك "هو من الوسائل التي تحقق خاصية الاستمرار اللّفظي ،وهو يترتب على إجراءات تتجلى بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السّابق منها إلى اللّاحق بحيث يتحقق بها الترابط الوصفي "[10].و يقصد بالعناصر السطحية تلك الأحداث اللّغوية التي تشكل و تنتظم مع المباني النحوية ولكنها لا تشكل نصّا إلا إذا قدّمت لها الوسائل ما يجعل النّص محتفظا باستمرار يته ،فتتضافر عبرها المستويات اللّغوية جميعا .

3-الإحالة في الدراسات النّصية

يعرف "روبرت دي بوجراند" الإحالة بأنها العلاقات بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات[11].أما " جون لينز "فيعرفها "بأنها العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات [12].وهو تعريف يتّجه إلى ما يسميه التقليدي الدلالي الذي يدخل في إطار علاقة الدال بالمدلول بينما تعريف "دي بوجراند "فهو يصبّ في إطار لسانيات النّص ،لأنّه يشّكل معالم العلاقة بين العبارت ،والمواقف في العالم الخارجي الذي يعنى به سياق التلفظ ،فنلاحظ أنّ تعريف "جون لينز" انطلق من علم الدلالة ،فالدوال تحيل إلى مدلولات ترتسم مباشرة في الذهن ،أما المستوى الثاني المتعلق بعلم لغة النص فهو يهتم بالعناصر اللغوية التّي تعمل عبر عناصر كل عنصر إحالي يرتبط بعنصر إشاري قبله أو بعده و يشكل علاقة مع السياق فهي تقوم على تعيين دلالة النص بصورة دقيقة .

تعّد أيضا من أهم الوسائل المهمة التي تحقق الربط ، وأيضا يحقق بها معيار النّصية من خلال الاتساق إذ يعتبرها " دي بوجراند "" أنّها من الوسائل المهمة في إيجاد الكفاءة النصية أي؛ صياغة أكبر كمية من المعلومات واستعمال أقل قدر ممكن من الوسائل .[13]

تطرّق لها "زتسبسلاف واورزنياك" من خلال كيفية بناء النص " التنصيص " في اللغة الألمانية ، واعتبرها من بين الأبنية اللغوية التي تسهم في بناء النص وقد أدرجها تحت ما يسمى بالتضافر الاسمي فهي ظواهر نصية داخلية ،و من ثم هي انعكاسات نصية لأفعال الإحالة النصية الخارجية أي ؛لأفعال التعلق الداخلي بما هو خارجي[14] .

وتتدرج كالتالي :

1-إحالة اسمية مكررة "تكرير التعيين الاسمي "

2-إحالة بديلة عن الاسم " بدل التعيين الاسمي

3-إحالة ترادفية (تكون بديل دلالي أو براجماتي)

4-إحالة أساسية (تساو اسمي)

5-إحالة تضاد (تضاد اسمي)

6-إحالة إعادة الصياغة [15].

أما الإحالة عند " هاليداي و رقية حسن " فهي علاقة دلالية لا تخضع لقيود نحوية ، فلا تكتفي بذاتها في تأويلها دلاليا بل تحيل على شيء آخر ،من حيث تأويلها أي ؛ تدل على ضرورة استعادة المعلومة ،من مكان آخر وتعرف هذه المعلومة بالمعنى الإحالي ،وهو ما يستمده الاتساق من خاصية الاستمرار التي تتم بواسطتها[16].

يفرق كل من " جورج يول و براون " بين الإحالة الداخلية ،و الإحالة الخارجية يقول :إن النظرة الدلالية التقليدية للإحالة ،هي تلك النظرة التي ينظر فيها ،إلى علاقة الإحالة على أنها تربط العبارات في النص ،بكيانات في العالم ،في حين أنّ علاقة الإحالة داخل النّص تربط العبارات، في أجزاء مختلفة من النّص فالأدوات التي تحيل داخل النص ،هي الأدوات التي نعتمد في فهمنا لها لا على معناها الخاص ،بل على استنادها إلى شيء آخر[17].وهذه الأدوات تجبر المستمع /القارئ على البحث في مكان آخر عن معناها فمتى كان الشيء المحال عليه خارج النص في السياق أو المقام فإنّ العلاقة تسمى خارجية ،حيث إنها لا تلعب دورا في ترابط النص ، ومتى كان الشيء المحال داخل النص فتسمى علاقة داخلية وهي تلعب دورا في تماسك أجزاء النص[18].

وردت الإحالة عند " تمام حسان "تحت ما يسمى " وسائل الربط " فقد جاءت الإحالة تحت وسائل الربط مباشرة ، وإذا كانت الوسيلة تختلف عن الغاية في الماهية ، فإنها تتفق معها في تحقيق غايات أبعد ،يقول :" من هذه العلاقات (أي العلاقات السياقية)علاقة الربط و، وظيفتها إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق، بواسطة إحدى الوسائل اللفظية ،التي تعين على الوصول إلى الغاية فيعتبره ، وسيلة لإنعاش الذاكرة[19] .و الإحالة هي أداة للربط فلا جرم أنّ الإحالة ،وسيلة لإنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق ،ويتحقق الربط عبر أربعة أنواع :[20]

1-الربط بالأداة

2-الربط بالمشاكلة

3-الربط بعلاقة معنوية بين جملتين

4-الربط بالإشارة .

يحدث الربط حسب" تمام حسان "عبر النشاط العقلي عن طريق :التعرف والتذكر ،فالتعرف يعتمد على إدراك المعالم ،،و القرائن و أما التذكر فيتصل أكثر مما يتصل بالتداعي ،والترابط والأمر ينسحب على الظاهرة اللغوية لأن تراكيب اللغة تشتمل على قرائن تعين على التعرف و تشتمل أساليبها على وسائل تعين على التذكر و الأمر في الحالتين يتعلق بظاهرة من ظواهر الاستعمال اللغوي تسمى الربط سواء في ذلك أن يكون الربط قرينة من قرائن النحو أو وسيلة من وسائل الأسلوب و القرائن النحوية التي يعد الربط واحدة منها هي :البنية –الإعراب –الربط –الرتبة –التضام –الأداة و قرينة السياق .[21]

1.3-أشكال الإحالة

يمكن تقسيم الإحالة الاتساقية أو ،في المجال لسانيات النص إلى نوعين أساسين :

1-الإحالة النصية :هي إحالة تكون داخل النص و تسمى أيضا بالمقالية و تتمثل في إحالة لفظة على لفظة سابقة أو لاحقة داخل النص ،أي ؛أنها تركز على العلاقات اللغوية في النص ذاته وقد تكون بين ضمير وكلمة أو كلمة وعبارة و قد صنفها الأزهر الزنّاد إلى إحالة داخل النص أو داخل اللغة : وهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ سابقة كانت أو لاحقة و هي نفسها أيضا الإحالة النّصية و تنقسم بدورها إلى نوعين:[22]

أ-الإحالة على السابق أو الإحالة بالعودة : وهي تعود على مفسر سبق التلفظ به .

ب-الإحالة إلى اللاحق أو المتأخر : وذلك حين يحيل عنصر لغوي أو مكون ما إلى عنصر آخر له في النّص ،أو مكونات من عدة عناصر متأخرة من عنصر الإحالة ،و هي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النّص ولاحق عليها من ذلك ضمير الشأن في اللغة العربية[23].

2-الإحالة المقامية :و هي ألفاظ تحيل إلى شيء موجود في الخارج ،و هي تسهم في خلق النّص باعتبارها تربط اللغة بسياق المقام و يسميها " الأزهر الزّناد "الإحالة إلى ما هو خارج اللغة : وهي إحالة عنصر لغوي إحالي إلى عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي ، مرتبط بالسياق ،و الإشارات الدّالة عليها ، كأن يحيل ضمير المتكلم الفرد على ذات صاحبه " المتكلم "[24].

2.3-أدوات الإحالة (المعوضات في اللغة)

يطلق عليها العناصر الإحالية ، أو التعبيرات المحيلة[25].أو الألفاظ الكنائية[26]. و تنقسم حسب دورها في النّص ووظيفتها ، وقد تطرق لها " محمد الخطابي إلى كونها عناصر تملك خاصية الإحالة وتتوفر في كل لغة طبيعية :

1-**الضمائر** : تقوم بدور الشخوص المشاركة ،في عملية التلفظ[27].وقد تحيل إلى كلمة مفردة (اسم)و قد تحيل إلى جملة في بعض الأحيان ،ومرّات إلى تركيب، أو خطاب ،ويعد الربط بالضمير بديلا لإعادة الذكر، أيسر في الاستعمال، و أدعى إلى الخفة و الاختصار[28] .ويعتمد على السياق في معرفة مرجعية الضمير خاصة إذا كانت مرجعيته تعتمد على سياق الحال.[29]

تنقسم الضمائر حسب الحضور ،في المقام أو الغياب إلى فرعين :هما ضمائر الحضور و ضمائر الغياب و تتفرع ضمائر الحضور إلى متكلم هو مركز المقام الإشاري (الباث)و إلى مخاطب يقابله في ذلك المقام و يشاركه فيه وهو المستقبل ، وتنقسم بدورها حسب الجنس والعدد[30] .و الضمائر من أفضل الأدوات التي يستعملها المتكلمون للإحالة على كيانات معطاة ، وقد ركز علماء النّص على ضمير الغائب المفرد " هو " فهو يعتبر من الصيغ الاسمية (أي أداة محيلة)؛ تستعمل داخل النّص ،ويتم وصف العلاقة بين الضمير و الصيغة الاسمية ، بكونها إحالة داخلية (قبلية)أداة محيلة على الوراء[31].

يزخر التراث العربي بمتن نحوي وبلاغي و دلالي لا نظير له ،و أدوات الإحالة بهذا المعنى لم تكن غائبة ،بل نجد إرهاصات وملامح متقاربة في دراساتهم "للضمائر " فقد ذكرت بعض المسائل النحوية التي تهتم بالضمير العائد و قرائن الرتبة في تحديد عائده سواء كان متقدما أو متأخرا ، وكذلك حديثهم عن ضمير الفصل ،و الشأن و أهميته في الربط بين الكلام ، فهاهو " ابن هشام النحوي " يعقد باباً في احتياج الضمير إلى مفسّر يبيّن المراد منه يقول :"لابّد للضمير من مفسّر يبيّن ما يراد منه ، فإن كان لمتكلم ،أو مخاطب فمفسّره حضوره من هو له وإذا كان لغائب فمفسّره نوعان لفظ و الغالب يكون متقدما عليه أمّا النوع الثاني يكون مؤخرا في اللّفظ و الرّتبة [32]كما ذكر أنّ ضمير الشأن مفسّره يكون مؤخرا أي ؛ الجملة بعده .

مرجع الضمير الغائب و حضوره في القرآن الكريم ،: فهو على اختلاف مواقعه الإعرابية سواء أكان متصلاً أو منفصلاً ، يحلّ محل الاسم الظاهر رغبة في الاختصار الذي هو من مرامي إعجاز القرآن الكريم يقول "**السيوطي**" :"أعدّ الله لهُم مغفرةً و أجرا عظيمًا "[33]،الضمير هنا : قام مقام خمسة وعشرون كلمة لو أتى بها مظهرة[34].

وردت الإحالة عند "**عبد القاهر الجرجاني** "تحت ما يسمى التكرار فهو لم يهئ لها بابا خاصا بها لكن ، يمكن أن نلتقط تصور الإحالة بواسطة الضمير كما جاء في مثاله "جاءني زيد وهو مسرع "فمن ناحية الدلالة و اللّفظ هي نظير قولهم : "جاءني زيد و زيد مسرع "فالضمير أغنى عن تكرير" زيد "ويردف معقبا "و ذلك أنّك إذا أعدت ذكر "زيد " فجئت بضميره المنفصل المرفوع كان بمنزلة أن تعيد اسمه صريحا كأنك تقول : جاءني زيد و زيد مسرع و نحسب أنّ ما ورد عند الجرجاني يعدّ الباكورة التي قيدت مفهوم الإحالة الضميرية[35].

2-أسماء الإشارة و الموصولات

يرى كل من "**هاليداي و رقية حسن** "**أن** أسماء الإشارة تقوم بالربط القبلي، و البعدي و إذا كانت أسماء الإشارة بشتى أصنافها محيلة إحالة قبلية بمعنى ،أنّها تربط جزءا لاحقا بجزء سابق ،و من ثم فهي تسهم في اتساق النّص[36].ويعرّف ابن يعيش أسماء الإشارة "بأنها الأسماء التي يشار بها إلى المسمى و فيها من أجل ذلك معنى الفعل ، ولذلك كانت عاملة في الأحوال و هي ضرب من المبهم "[37] .و صنّفت في كتب النحويين من المبهمات و هي نوعان : ظاهرة كأسماء الإشارة ، والتي لا تظهر المراد منها إلا بمعرفة المشار إليه[38] .و في الاستعمال القرآني نجد اختلافا في دلالة الإشارة ، كقولة تعالى :"إنّ هذا القرآن يهْدي للتّي هي أقوم"[39].إذ إنّ اسم الإشارة يحيل إلى لاحق يتحقق فيها تنبيه المخاطب إلى شيء عظيم .

أما الموصولات :فهي أيضا من المبهمات ،و سميت بذلك لافتقارها إلى جملة الصلة و العائد[40].أما الخاصيّة الثانية التي تتميز بها فهي التعريف " ال " التّي تدخل على الأسماء الموصولة .

3-أدوات المقارنة :

تعدّ نوعا من أنواع الإحالة أيضا كما ذكره " الخطابي"[41].تتم باستعمال عناصر عامة مثل التطابق ، التشابه ، الاختلاف " فهي من منظور الاتساق لا تختلف عن الضمائر و أسماء الإشارة في كونها نصّية "[42] .و تتميّز ألفاظ المقارنة بأنها تعبيرات إحالية لا تستقل بنفسها، و لذلك فأينما وردت هذه الألفاظ اقتضى من المخاطب أن ينظر إلى غيرها بحثا عما تحيل عليه .

4-صور الإحالة في مختارات الطاهر بن عاشور

إنّ التعامل مع واقع الخطاب القرآني ، نظامه التركيبي و أسلوبه يختلف جملة ،و تفصيلا عما استقر في واقع التصور اللّغوي العربي قديما ،وحديثا ،و إذا ما أردنا أن نتابع مفهوم الإحالة حسب الخطاب القرآني ، فإنّ لها مميزات و تحركات تأخذ طابعا خاصا ،له مميزاته السياقية، و المقامية ،و هو ما يحقق الانسجام ؛ داخليا تركيبا لغويا نصيا يحقق بذلك الاتساق ،و الذي يلتقي مع ما أفرزته لسانيات النّص ،و نجد في تفسيراتهم ،و أبحاثهم صورا للإحالة أبعد بكثير مما أشار إليه مختصوا هذا الحقل ،أبعادا تتناسب مع مقاصد السور ، و الآيات و أخرى تتعلق بالبعد البياني و الإعجازي ، الذي وردت فيه الإحالة تتجاوز حدود ما عهدتاه و ألفناه في روافد لسانيات النّص ، بحيث لا تكون هذه الإحالات الواردة في السياقات القرآنية التركيبية وفق طابع قواعدي محدد ، بل تغوص في تلكم العلائق التلازمية الإحالية ،التّي جاءت لتعطي العقل ،و القلب و النفس حقها .

و تفسير الطاهر بن عاشور ، يكتنز على إشارات غير محدودة لقرائن نحوية محيلة من الضمائر ،والإشارات ،و الأسماء الموصولة ،و الأدوات المقارنة و التكرار و المعارف ،وهو بلا شك من التفاسير اللّغوية ،التّي أعطت للبلاغة و النحو و الدلالة و اللغة حقه من التوظيف في تفسير آيات القرآن الكريم .

5-نماذج تطبيقية

1.5-الإحالة الضميرية و تعدد المحال إليه :

اهتم المفسرون بالتعليق حول الضمائر ،و التّنويه على الدور الذي تقوم به في الرّبط ،و تماسك الآيات ،و في الآية التالية :{**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**}[43]يعقب" ابن عاشور "حول مرجعية الضمير (يعرفونه)و الاحتمالات التي تتوجب أن يعود عليها فهو إمّا يعود على الرسول (ص)،وإن لم يسبق ذكر المعاد المناسب ، ضمير الغيبة و لكنه قد علم من الكلام السابق و تفصيله في الآية التي قبلها ، {**مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ** }[44] .

2. 5-إحالة الإشارة:

في قوله تعالى:"**قالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا** "[45]. يرى ابن عاشور في إحالة الإشارة و المشار إليه على وجه التخصيص " هذا" بأنّه مقدر في الذهن حاصل من اشتراط موسى على نفسه أنّه إذا سأله عن شيء بعد سؤاله الثاني فقط انقطعت الصحبة بينهما ، أي؛ هذا الذي حصل الآن هو فراق بيننا[46]. فاسم الإشارة عند الطاهر بن عاشور "يعود إلى ذات مشاهدة معينة إلا أن العرب قد يخرجون بها عن الأصل فتعود إلى ذات مستحضرة من الكلام بعد أن يتذكر من صفاتها و أحوالها ما ينزلها ذات منزلة الحاضر في ذهن المتكلم و السامع فإنّ السامع إذا وعى تلك الصفات و كانت مهمة أو غريبة في خير أو ضده ، صار الموضوع بها كالمشاهد فالمتكلم يبني على ذلك فيشير إليه ،كالحاضر المشاهد فيؤتى بتلك الإشارة إلى أنّه أوضح، في تشخيصه ولا غنى في مشاهدته، من تعرف تلك الصفات ، فتكفي الإشارة إليها و هو استعمال الإشارة في الخطاب القرآني بعد ذكر صفات عدم حضور المشار إليه "[47].

3.5-إحالة ضمير الغائب و حمله على ما سبق من الخطاب :

ذكر "ابن عاشور "في الآية {**فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا**} "[48] بأنّ ضمير الرفع المستتر الغائب في نادا(ها) عائد إلى ما عاد عليه الضمير الغائب " فحملت(ه) في الآية التي قبلها مباشرة "**فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا** "[49]و هي إشارة إلى أنّ إحالة الضمير قد تربط بين الأجزاء و تستحضر خطابا بأكمله و هو ما ذكره " جورج يول وبراون " في خاصية الضمائر و إحالتها في الخطاب .

4.5-إحالة ضمير الغائب:

ففي قوله تعالى : الآية: ﴿ **قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى**﴾.سورة طه الآية 52،يقّدر" ابن عاشور "عودة الضمير " ها" إلى لفظة " القرون الأولى ، و هنا يستند إلى قرينة نحوية فيرى أنّ " لفظ الجمع يجوز أم يؤنث ضميره "[50]،و هنا تحقق الربط النصي عبر إحالة نصية تعود إلى لفظ سبق ذكره أرشدتنا إلى المراد من العنصر المحيل .

5.5-إحالة ضمير الغائب الجمع :

يعالج " ابن عاشور "ضمائر الجمع معالجة مستفيضة في تفسيره ، ففي قوله تعالى :{ **فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ** }سورة طه الآية 61.يعّقب " ابن عاشور" على الضمير " لهم " عائد إلى معلوم من قوله :{ **فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ**}سورة طه ،الآية 58."أي بأهل سحر ،أو يكون الخطاب للجميع "[51]، وهنا استحضار لخطاب آخر ،وبهذا فهي إحالة داخلية ،إذ توجه القارئ إلى جمل سابقة أو خطابات سابقة حتى يتسنى له الربط و بالتالي عملية التأويل و الفهم .

5-5-تعدد المشار إليه :

في قوله تعالى "**قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا** "(49) .يعقّب" ابن عاشور" حول المشار إليه بقوله " كذلك " هو القول إلى زكرياء " و كانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيّا " ويجوز أن يكون المشار إليه بقوله " كذلك " هو القول المأخوذ من " قال ربّك " أي ؛ أنّ قول ربك هو علي هيّن .

6.5-إحالة الضمير السياقي :

" **فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا**" [52] .يفصّل ابن عاشور حول مرجعية ضمير الغائب يسرن(ه) لتبشر به ، تنذر به ، ومن المعلوم أنّ علماء النّص فصّلوا في الضمائر ،و إلى ما تحيل إليه كضمائر المتكلم و المخاطب و الغائب و غالبا ما كانوا يعوّلون على ضمائر الغياب التّي تحيل إلى شيء داخل النّص [53]و هنا ألبس الطاهر بن عاشور ضمير الغياب مرجعية متخذة من السياق اللّغوي يقول: " وضمير الغائب عائد إلى القرآن بدلالة السياق لأنّ التيسير تسهيل قراءة القرآن ،و هذا إدماج للثناء على القرآن بأنّه ميّسر للقراءة[54].

7.5.-**إحالة التكرار :**

في قوله : "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿41﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿42﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿43﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿44﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا "[55] .أشار "**ابن عاشور**" "**إلى تكرار النّداء " يا أبت " أربع مرات تكرير** اقتضاه مقام استنزاله إلى قبول الموعظة لأنّها مقام إطناب ،ويستمر في التنويه بأهمية التكرار في الآية التي تليها " **يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا**"[56]في إعادة ندائه بوصف النّبوة تأكيد لإحضار الذهن ،و لإلحاص النصيحة ، وهذا ما يلتقي إلى ما أوعز إليه علماء النص و يلتقي مع جاءوا به في هذا الميدان حول هذا النّوع من الإحالة ،الذي يشدّ انتباه المتلقي ،و إعادته إلى جزء ما في النّص .

8.5-**عدم تطابق الضمائر "الالتفات وصوره ":**

يعتبر الانتقال بين ضمائر الغائب و الحاضر و المتكلم من أشكال الالتفات ،التي تنازعتها علوم البلاغة العربية ، حيث ينتقل في الكلام " من صيغة إلى صيغة ، ومن خطاب إلى غيبة ، ومن غيبة إلى خطاب إلى غير ذلك من أنواع الالتفات "[57].وهي عدول يقتضيه المقام ،والسياق الخطابي، و إذا ما بحثنا عن صورته في تشكل الإحالة ،فهو يمثل عدم تطابق الضمائر وهنا يمكن الإشارة إلى العلاقة بين اللّفظ المحيل و المحال إليه و المفروض يكون التطابق مجسدا بين اللّفظ المحيل و المحال عليه[58].و ابن عاشور نوّه إلى هذا النوع من الانتقال في قوله : {**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا**} *"[59] .هنا حدث تحول من الغيبة إلى الخطاب ، يوافق

مقتضى المقام التهديدي للذين أشركوا ،و زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله و التعرض لسخطه و تنبيههم على عظيم ما قالوا .

9.5-الانتقال من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم:

من نماذج تواجد الالتفات ،بحيث يرى "ابن عاشور" في الآية التالية :" الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ " طه(53).وجود انتقال أو عدول عن ضمير الغيبة إلى المتكلم في قوله :" فَأَخْرَجْنَا"و" المراد هنا أنّه بعد أن حجّ المشركين بحجة انفراده بخلق الأرض ،وتسخير السماء مما لا سبيل بهم إلى نكرانه،وارتقى إلى صيغة المتكلم المطاع فإنّ الذي خلق الأرض وسخّر السماء حقيق بأن تطيعه القوى و العناصر فهو يخرج النّبات من الأرض بسبب ماء السماء ،فكان تسخير النبات أثر ا لتسخير أصل تكوينه من ماء السماء وتراب الأرض" [60]،فضمير المتكلم "نا" تعود على الذات الإلهية ارتقاءً إلى قوة الله و قدرته على الخلق و الإنبات .

10.5-إحالة العهد " ال العهدية " :

في قوله تعالى:" وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا"[61].

و العهد الذهني هو كل علم بالمحال إليه ،ينشأ عن طريق الحضور والذكر ،وخاصية العهد الذهني هي أنّه يعتمد على قرينة غير حاضرة في السيّاق المقامي أو المقالي الحاليين ،و قد أشار الباحثون إلى بيان حول " ال العهدية "، "وقد يكون السبب في تعريف النكرة المقترنة " ال" العهدية هو أنّ " ال" تحدد المراد من النكرة ،و تحصره في فرد معين تحديدا أساسه علم سابق في زمن انتهى قبل الكلام ، ومعرفة قديمة في عهد مضى قبل النطق ،وليس أساسه ألفاظا مذكورة في الكلام الحالي "[62] .فالقرآن باعتباره كلّ موحد واحد من حيث سياقه المقالي و المقالي فيحال عبر قرينة ذكرية إلى محيل ينسحب إلى كافة المخاطبين في القرآن من أول نزوله، وهو ما أكدّه " ابن عاشور " بالمراد بالإنسان جمع من النّاس بقرينة قوله :{**فوربّك لنحشرنّهم**} ، فيراد من كانت هاته مقالته ،وهم معظم المخاطبين بالقرآن و يردف تعريف " الإنسان " للعهد لإنسان معين فقيل ، هذا "أبي بن خلف" و قيل : "الوليد بن المغيرة "[63].

خاتمة

من خلال ما تقدم يتضح لنا أن الإحالة من أهم وسائل الاتساق النّصي ،وهي تساهم في استمرارية النّص ،و تماسكه بل لها دور في تشكيل النّص، فلا نصية دون الإحالة .

1-عرف العرب في دراساتهم صورا للإحالة، و إن لم تكن بالمعنى الاصطلاحي، لكنّها حاضرة في كتب النحويين، و البلاغيين و المفسرين لها أبعاد تركيبية و نحوية .

2-تختلف صور الإحالة في النّص القرآني ، وبالأخص لدى شروحات المفسرين فهي لا تخضع لقيود محددة بل تستمد أشكالها حسب طبيعة و مقصدية السورة أو الآية فتتشكل القرائن ،و الضمائر والتراكيب ،وتنسحب ككل لخدمة الكل المنسجم والمتسق .

3-تتميز الإحالة عند ابن عاشور في بضع المختارات التي قمنا بتحليلها ،بالتنويه لأسماء الإشارة ،و المشار إليه و تحديده عبر السياق اللغوي أو روافد العهد الذهني و التكرار و إحالة المقارنة .

4-تحديد مرجعيات الضمائر المحيلة ،عبر تحديد السياق المقامي .

5-التنويه إلى عدم تطابق الضمائر في الآيات القرآنية وهو ما يسمى بالالتفات ،و إن كانت غايته البلاغية تختلف عن قيمته وحضوره في الدراسات النّصية .

6-يلعب التكرار دورا هاما في إشراك المتلقي للبحث عن عناصر في النص مكررة وبهذا تصل الكلام أوله بآخره أما في القرآن الكريم فهو يشكل وظيفة التنبيه الذي يخدم المقام والسياق و أضربه .

التوصيات

بناءً على ما تم التوصل إليه من نتائج تتمثل في النقاط المذكورة في الخاتمة ،يمكن أن يكون عنوان الدراسة مشروع بحثي قائم في حد ذاته ،تكملة لما توصلنا إليه في هذه الورقة البحثية التي عالجت صور الإحالة من منظور تفسير " ابن عاشور" ،و كيف تم تداول الضمائر و مرجعياتها و أسماء الإشارة وأدوات المقارنة و التكرار ، من منظور لسانيات النص ،فأعطى لها الصبغة اللغوية النحوية التي توائم طبيعة التركيب القرآني و القصدية منه ، لهذا يمكن أن يتم التوسع أكثر في دراسة مدونة " ابن عاشور " و استنطاقها و مقارنتها بما ورد في حقل لسانيات النص ،و تفرع الإحالات بكافة صورها و أشكالها والتنويه لما جاء مميزا في علم النص من منظور عربي .

الهوامش

[1] ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن محمد ، لسان العرب ، دار صادر ،ط1،لبنان بيروت ،1994،ج1،ص:4284-4285

[2] ينظر :محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ،المركز الثقافي العربي ، ط1،بيروت لبنان ،1991،ص:05

[3] المرجع نفسه ،ص:15

[4] علي أبو المكارم ، الظواهر اللغوية في الثراث اللغوي النحوي،دار غريب ،ط1،القاهرة ،2006،ص:325

[5] ينظر :كلاوس برينكر ،التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية و المناهج ،تر:سعيد حسن البحيري ،مؤسسة المختار ،ط1،2005،ص:60

[6] ينظر :صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية ،دار قباء ،ط1،القاهرة ،2001،ص:89

[7] ينظر :تمام حسان ،البيان في روائع القرآن دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني ،عالم الكتب ،ط3،1993،ص:211

[8] ينظر :جميل عبد المجيد ،البديع بين البلاغة و اللسانيات النصية ،الهيئة المصرية العامة ،ط1،1998،ص:141

[9] روبرت دي بوجراند و آخرون ، مدخل إلى علم لغة النص ، دار الكتب ،ط1،1995،ص:13

[10] أحمد عفيفي ، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، كلية دار العلوم ،ط1،2001، ص:90

[11] روبرت دي بوجراند ، النص و الخطاب و الإجراء ،تر:تمام حسان علا الكتاب ،ط1،القاهرة ، 1998،ص:172

[12] المرجع نفسه ،ص176

[13]أحمد عفيفي ،الإحالة في نحو النص،كلية دار العلوم ،ط1،القاهرة ،2001،ص:7

[14]زتسبسلاف و أورزنياك ،مدخل إلى علم النص ،تر:سعيد الحسن البحيري ،مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ،ط1،القاهرة ،2003،ص:132

[15]المرجع نفسه ،ص:132

[16]شريفة بلخوت ، الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول و الثاني من كتاب cohesion in englich،مذكرة أعدت لنيل شهادة ماجستير ،إشراف مفتاح بن عروس ،الحواس مسعودي ،جامعة الجزائر، 2006،ص:120

[17]ج براون ،جورج يول ،تحليل الخطاب ،تر:منير التريكي محمد لطفي الزليطني ،النشر العلمي و المطابع ،جامعة ملك سعود،ط1،الرياض،1997،ص:244

[18]المرجع نفسه ،ص:245

[19]تمام حسان ،مقالات في اللغة و الأدب ،عالم الكتب ،ط1،القاهرة ،2006،ج1

[20]المرجع نفسه ،ص:170

[21]المرجع نفسه،ص:171

[22]الأزهر الزنّاد ، نسيج النص ،الدار البيضاء ،ط1،المغرب ،1993،ص:132

[23]سعيد حسن البحيري ،دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ،مكتبة الآداب ،ط1،2005،ص:107

[24]الأزهر الزناد ،نسيج النص ،ص:133

[25]ج براون ،جورج يول ،تحليل الخطاب ،ص: 320

[26]ينظر :ربيرت دي بوجراند ،النص و الخطاب و الإجراء ،ص:320

[27]الأزهر الزنّاد ،نسيج النص ،ص:129

[28]خليل ياسر البطاشي ،الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ،دار جرير ،ط1،2009،ص:167

[29]صبحي إبراهيم الفقي ،علم اللغة النصي ،ج1،ص:156

[30]الأزهر الزنّاد ،نسيج النص ،ص:129

[31]جورج يول ،ج ب براون ، تحليل الخطاب ،ص:256

[32]جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام النحوي ،شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، دار إحياء التراث ط1،بيروت لبنان ،2001، ص:76

[33]سورة الأحزاب ،الآية :35

[34]محمد حسني صبره ، مرجع الضمير في القرآن الكريم ، دار غريب للنشر و التوزيع ،ط1،2001،ص:14

[35]عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، مكتبة الخانجي ،دط،القاهرة ،دت،ص:166

[36]محمد الخطابي ، لسانيات النص،ص:21

[37]سعيد حسن البحيري ،دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ،ص:145

[38]رؤوف جمال الدّين ،المعجب في علم النحو ،منشورات دار الهجرة ،دط،إيران ،دت ،ص:24

[39]سعيد حسن البحيري ،دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة ،ص:154

[40]ينظر :رؤوف جمال الدين ،المعجب في علم النحو ،ص:24

[41]محمد الخطابي ،لسانيات النّص،ص:21

[42]ينظر:خليل ياسر البطاشي ،الترابط النصي في ضوء التحليل اللّساني للخطاب ،ص:179

[43]سورة البقرة ،الآية :146

[44]سورة البقرة ،الآية 143

[45]سورة الكهف ،الآية :78

[46] محمد الطاهر بن عاشور ،تفسير التحرير والتنوير،الدار التونسية ،ط1،تونس،1984،ج13،ص:10

[47] تامر عبد الحميد محي الدين ،الإحالة في القرآن الكريم دراسة نحوية نصية ،دار الكتب المصرية،ط1،القاهرة ،2008،ص:170

[48] سورة مريم ،الآية :24

[49] جورج يول ،تحليل الخطاب ،ص:125

[50] محمد طاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج16،ص:235

[51] محمد طاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير ،ج16،ص:248

[52] سورة مريم ،الآية :9

[53] الأزهر الزنّاد ،نسيج النص ،ص:119

[54] الطاهر بن عاشور ،التحرير و التنوير،ج13،ص176

[55] سورة مريم ،الآية :42

[56] الطاهر بن عاشور ،التحرير و التنوير ،ص:114

[57] العلوي يحي بن علي بن إبراهيم ،كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ،تح :عبد الحميد هنداوي المكتبة العصرية ،ط1،بيروت،2002،ص:266

[58] ينظر أحمد عفيفي ،الإحالة في نحو النص ،ص:16

[59] سورة مريم ،الآية :66

[60] محمد الطاهر بن عاشور ،تفسير التحرير و التنوير ،ج 16،ص:238

[61] محمد الطاهر بن عاشور ،تفسير التحرير و التنوير ،ص:144

[62] ينظر:تامر عبد الحميد محي الدين ،الإحالة في القرآن الكريم دراسة نحوية نصية ،ص:160

[63] محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ،ج13،ص:144